القيم الإنسانية من منظور الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية

(الكرامة الإنسانية أنموذجا)

د . سمية حسنعليان
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة أصفهان، إيران

Human values from the perspective of Imam Sajjad peace be upon him in Al-Sahifa Al-Sajjadiyya (Human dignity as a model)

Dr. Somayeh Hassanalian
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Isfahan, Iran
s.hasanalian@fgn.ui.ac.ir

الملخص

إنَّ من أهم القيم عند الإنسان هي الكرامة الإنسانية؛ ومن وجهة نظر القرآن فإن الإنسان يستحق مكانة متفوقة على سائر الكائنات في العالم الطبيعي، لأن الله سبحانه أودع فيه مزايا حرم منها غيره من الكائنات؛ وهذا مايتعارف عليه على أنه الكرامة الذاتية أو الفطرية التي يولد بها كل إنسان؛ ولكن الميزة الخاصة بالإنسان أنه يقدر أن يكتسب هذه الكرامة، فضلاً عن أن بعض العلماء قد صرح بأن القيمة الأصلية هي الكرامة المكتسبة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالصحيفة السجادية التي تضم بين دفتيها ٥٤ دعاءا للإمام السجاد عليه السلام أسهمت بشكل كبير في تعليم المؤمن أدب الخطاب مع ربه سبحانه وتعالى، وتعدُّ الصحيفة من ذخائر التراث الإسلامي الجديرة بالاهتمام، إذ إنها مجموعة لا تضاهى من المعارف والحقائق السامية التي تعطي مفتاح سعادة الدنيا والآخرة؛ لأن الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام قام بتعليم شيعة أهل البيت عليهم السلام وطلبة مدرستهم أسمى القيم التربوية والأخلاقية والعلمية والفلسفية والاجتماعية والسياسية، ولكن على شكل الدعاء وانسياقا من هذا حاول البحث استكشاف وجهة نظر الإمام السجاد عليه السلام في الكرامة الإنسانية من أبعادها المختلفة بمنهج وصفي ـ تحليلي. وقد تبين من البحث أن العمل بتعاليم الإمام عليه السلام ولاسيما في رسالة الحقوق هو الذي يسهل الأمر ويمهد الأرضية لاكتساب الكرامة الإنسانية؛ وأن أعظم تكريم للإنسان من المنظور الإسلامي أن هداه الله إلى التوحيد وهو التحرر من

رق العبودية (الأصنام وغيرها)، وأن الأصول المحافظة على الكرامة الإنسانية هي مجموعة من الفضائل الأخلاقية والتربوية التي قد أشار إليها الإمامعليه السلام منها: التوجه إلى المحرومين، حفظ الأمانة، ترك الظلم، تجنب الحسد، الشكر على محبة الآخرين، الإحسان إلى الآخرين مقابل سيئاتهم، الدعاء للآخرين ونصحهم . وأما مبادئ الكرامة الإنسانية في الصحيفة السجادية فتتمثل بالآتي: التقوى، معرفة النفس ومحاسبتها، العدالة، الحرية .

Abstract

One of the most important values for man is human dignity. From the point of view of the Qur'an, man deserves a superior position over all other creatures in the natural world, because God Almighty has placed in him advantages that other creatures are deprived of. This is what is known as the innate or innate dignity that every human being is born with. However, the special advantage of man is that he is able to acquire this dignity, in addition to the fact that some scholars have stated that the original value is acquired dignity. This is on the one hand, and on the other hand, the Sahifa al-Sajjadiyya, which includes 54 supplications of Imam al-Sajjad (peace be upon him) between its covers, has contributed greatly to teaching the believer the etiquette of addressing his Lord Almighty and the

following. The Sahifa is considered one of the treasures of Islamic heritage worthy of attention, as it is an incomparable collection of sublime knowledge and truths that provide the key to happiness in this world and the hereafter. Because Imam Zain Al_Abidin and the Master of Prostrators, peace be upon him, taught the Shiites of Ahlul Bayt, peace be upon them, and the students of their school the most sublime educational, moral, scientific, philosophical, social and political topics, but in the form of supplication, and based on this, the present research attempted to explore the viewpoint of Imam Sajjad, peace be upon him, on human dignity from its various dimensions using a descriptive_analytical approach. It became clear through the research that acting upon the teachings of the Imam, peace be upon him, especially in the Epistle of Rights, is what facilitates the matter and prepares the ground for acquiring human dignity; and that the greatest honor for man from the Islamic perspective is that God guides him to monotheism, which is liberation from the slavery of servitude (idols and others), and that the principles that preserve human dignity are a group of moral and educational virtues that the Imam, peace be upon him, pointed out, including: turning to the deprived, preserving trust, abandoning injustice, avoiding envy,

being grateful for the love of others, doing good to others in return for their bad deeds, praying for others and advising them. As for the principles of human dignity in the Sahifa al_Sajjadiyya, they are represented by the following: piety, self_knowledge and self_accountability, justice, and freedom.

الكلمات المفتاحية :

الإمام السجادعليه السلام، الصحيفة السجادية، الكرامة الإنسانية، رق العبودية، التراث الإسلامي، أدب الخطاب .

Key words:

Imam Sajjad (peace be upon him), Sahifa al_Sajjadiyya, human dignity , slavery of servitude , Islamic heritage , etiquette of discourse.

(١) المقدمة:

من القيم التي ركزت عليها الشريعة الإسلامية فضلا عن سائر الأديان السماوية قيمة الكرامة الإنسانية والعزة؛ إذ الإسلام هو مركز الكرامة الإنسانية وهو الذي بشّر بالعدل والمساواة الإنسانية والحرية والتقوى والأخلاق والوعي والفكر الحر.

والكرامة ماهي إلا «حق طبيعي لكل إنسان، رعاها الإسلام، وعدّها مبدأ الحكم وأساس المعاملة، فلا يجوز إهدار كرامة أحد، أو إباحة دمه وشرفه، سواء أكان محسناً أم مسيئاً، مسلماً أم غير مسلم؛ لأن العقاب إصلاح وزجر، لا تنكيل وإهانة، ولا يحل شرعاً السب والاستهزاء والشتم وقذف الأعراض، كما لا يجوز التمثيل بأحد حال الحياة أو بعد الموت، ولو من الأعداء أثناء الحرب أو بعد انتهائها، ويحرم التجويع والإظماء والنهب والسلب»[١].

ولعل من الأخطاء الشائعة أن بعضًا من الناس يظن أن حقيقة التواضع تكمن في أن كيفية جعل الإنسان نفسه متواضعا تكون بأن لا تصبح له قيمة أمام الناس، في حين بيّن لنا الإسلام وجهة نظره بطريقة مختلفة تتمثل في أن لا يذل المرء نفسه فيدوس على كرامته الإنسانية باسم التواضع، فالمهم في التواضع أن لا تضيع شخصية الإنسان الاجتماعية، ولا يهان ولا يستهان به، إذا تم معرفة التواضع بشكله الصحيح، وهنا سيكون للإنسان تأثيره الكبير في نفسه، ليس هذا فحسب بل سيزيد من قيمته في المجتمع كما قال أمير

(١) الزحيلي، د.ت، ٨: ٢٠٨.

المؤمنين عليه السلام: «**بِالتَّوَاضُعِ تَكُونُ الرِّفْعَةُ**» (غرر الحكم، ١: ٣٩٦) .

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في جانبين مهمين هما:

الأول: أهمية هذه القيمة الإنسانية أي الكرامة والتي وهبها الله تعالى الإنسان وكرمه بها .

الآخر: يكمن في أهمية الصحيفة السجادية، وما فيها من مضامين عالية، وأفكار قيّمة تنير الطريق بجانب القرآن الكريم لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

أسئلة البحث:

أهم الأسئلة التي سيكون البحث بصدد الإجابة عنها هي:

(١) ما مكانة الكرامة والعزة عند الإمام زين العابدين عليه السلام؟

(٢) ما معايير الكرامة الإنسانية من منظور الإمام السجاد عليه السلام؟

منهج البحث:

أما المنهج الذي توخاه البحث لدراسة الموضوع والإجابة عن الأسئلة فهو المنهج الوصفي ـ التحليلي الذي يُعدُّ أنسب المناهج لدراسة العلوم الإنسانية؛ إذ «هو المنهج الذي يقوم على تحليل ووصف ما حصل عليه الباحث من معلومات تحليلاً كمياً، أو تحليلاً كيفياً»[١].

(١) العساف، ١٤٠٩هـ، ٢٠٦.

الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات السابقة فمن الأجدر تقسيمها على محاور عدة؛ منها:

الدراسات الخاصة بالإمام زين العابدين عليه السلام والصحيفة السجادية:

هذه الدراسات بأنواعها المختلفة كالكتب والمقالات والبحوث و...، فهي كثيرة، تكاد لا تنحصر ولا يسعها هذا الموجز.

الدراسات عن العزة والكرامة الإنسانية:

لا يفوتنا أن ننوه إلى أن هناك كثيرا من الدراسات التي ركزت على موضوع الكرامة الإنسانية والعزة من الأبعاد المختلفة في الجانبين النظري والتطبيقي؛ ومن منظور القرآن الكريم وتراث آل البيت عليهم السلام؛ وندرج هنا نماذج منها:

مقالة «كرامت انسان در قرآن»، (١٣٨٦.ش) . طيبه صادق پور، مجلة بينات، العدد ٥٣ .

مقالة «كرامت انسان در پرتو قرآن و روايات»، (١٣٨٦.ش) . مصطفى سليمى زارع و كاظم قاضى زاده، مجلة بينات، العدد ٥٣ .

كتاب «كرامت انسان در قرآن كريم»، (١٣٩١.ش)، بهروز يد الله پور، تهران: اديان .

مقالة «وجوه مختلف عدل در صحيفه سجاديه»، سيدمحمد أميري، (١٤٠١.ش)، مجلة «سيره و سخن اهل بيت عليهم السلام»، العدد ١٣، صص ١٠٧ ـ ١٢٨.

كتاب «الكرامة الإنسانية»، (٢٠١٦م) . برهان زريق، دمشق: د.ن .

مصطلحات البحث:

الإمام السجاد عليه السلام:

هو الإمام زين العابدين، علي بن الحسين بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ولد صلوات الله عليه وعلى آله في المدينة المنورة يوم الجمعة من سنة ثمان وثلاثين، واستشهد فيها سنة أربع وتسعين للهجرة، ودُفن في بقيع الغرقد، وكان يقال له ابن الخيرتين لقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: لله من عباده خيرتان، فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس، وكان زين العابدين قرشي الأب فارسي الأم؛ وكان عليه السلام كثير البرّ بأمه حتى إنه كان لا يأكل معها في إناء واحد، ولما سُئل عن ذلك قال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما تسبق إليها عينها فأكون قد عققتها[1]؛ وكان يُضرب المثل به في الحلم والورع، وقد أُحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا فكانوا نحو مائة بيت، وقال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين[2].

الصحيفة السجادية:

وهي الصحيفة المشهورة المأثورة عن الإمام السجاد عليه السلام، وهي التي لُقبت بزبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتضم الصحيفة بين دفتيها الأدعية الشريفة للإمام السجاد عليه السلام والمتمثلة بـ(٥٤ دعاءً) تحتوي تلك الأدعية القضايا

(١) ابن خلكان، ١٩٨٦م، ١: ٢١٣.

(٢) الزركلي، ٢٠٠٢م، ٤: ٢٧٧.

المهمة كل ما يتعلق بالإنسان، والأسرة، والمجتمع، إذ إن الإمام عليه السلام كان قد اهتم بكافه جوانب حياة الإنسان الاجتماعية، والفردية، والسياسية، والعلمية، والمعنوية، والعرفانية و...

وتنتهي الصحيفة بروايتها عن الإمام الباقر وزيد الشهيد ابني الإمام زين العابدين عليهما السلام موصولة بسند لا يدركه الشك أو الريب، وقد أحصى أسانيدها العلامة المجلسي (ت١١١١هـ) فوجد أنها تزيد على ألف ألف سند؛ وقد كُتب عليها حاشية، وشرحها جماعة من العلماء في عصور مختلفة[١].

وفي الحقيقة أن الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الإمام عليه السلام اقتضت أن يأخذ الإمام عليه السلام من الدعاء وسيلة لبيان ما كان على عاتقه لهداية الناس، لأن الإمام عليه السلام أشفق الناس على الناس، وقد أراد صلوات الله وسلامه عليه أن يبين الخطوط الأساسية لمنهج سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية.

الكرامة الإنسانية:

الكرامة لغة: مصدر (كَرُم)، أو اسم مصدر من (كرّم) أو (أكرم) . و«الكاف والراء والميم: أصل صحيح، له بابان؛ أحدهما: شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق» (ابن فارس، د.ت، «كرم») .

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن «مجموعة الأحكام التي اشتمل عليها القرآن في تنظيم الجماعة الإسلامية، وإقامة بنيانها، تتجه إلى تكوين نظام عام تُحمي فيه الأنفس والأديان والأنساب والعقول، ويكون للجماعة سياج قوي من الفضلية والأخلاق الكريمة لتكون تلك الجماعة مثالاً صالحاً يحتذي في

(١) محفوظ، ١٩٦٧م، ١٠: ٤٩.

المعاملات الإنسانية، وتقوم علاقته بغيره على أسس من التعارف الإنساني وتكريم الإنسانية، في كل إنسان سواء أكان عدواً أم كان ولياً»[1]؛ وما أروع إعلان القرآن الكريم لمبدأ الكرامة الإنسانية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2].

(٢) الكرامة الإنسانية من منظور الإمام السجاد عليه السلام:

في هذا القسم من البحث سنهتم بالكرامة الإنسانية من منظور الإمام زين العابدين عليه السلام في أبعادها المختلفة:

مظاهر الكرامة الذاتية أو الفطرية للإنسان:

هناك نوعان من الكرامة هما:

الأولى: هي الكرامة التكوينية، أو الذاتية، أو الفطرية للإنسان التي وضعها الله سبحانه في الإنسان مذ خلقه، إذ وهبه القدرات والطاقات التي لم تكون لأحد من المخلوقات القابلية لقبولها إلا الإنسان، هذه الكرامة عامة تشمل غير المؤمنين أيضا؛ وحتى تشمل المشرك والفاسق والكافر كذلك[3].

---

(١) أبو زهرة، ١٩٦١م، ٥٢.

(٢) الإسراء١٧: ٧٠.

(٣) الطباطبايي، ١٤١٧هـ، ١٣: ١٥٥.

الثانية: وهي الكرامة المكتسبة التي يحصل عليها الإنسان بجهده وسعيه، ولذلك يُستحسن هذا النوع من الكرامة، وتلازم الكرامة المكتسبة بالإيمان والتقوى، وكلما زاد إيمان الإنسان وتقواه ارتفعت درجة كرامته بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

وأما أهم مظاهر الكرامة الذاتية أو الفطرية للإنسان من منظور الإمام زين العابدين عليه السلام فهي:

خلق الإنسان واستواءه في الخلقة:

من نماذج ذلك إشارة الإمام عليه السلام إلى خلق الله تعالى وكفالة رزقه إذ يقول: «اَللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَنِي سَوِيّاً وَ رَبَّيْتَنِي صَغِيراً وَ رَزَقْتَنِي مَكْفِيّاً»[2].

نعم الله تعالى على الإنسان وتكفله رزقه:

يقول عليه السلام في هذا المضمار: «وَاجْعَلْ مَا صَرَّحْتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ فِي وَحْيِكَ وَ أَتْبَعْتَهُ مِنْ قَسَمِكَ فِي كِتَابِكَ قَاطِعاً لِاهْتِمَامِنَا بِالرِّزْقِ الَّذِي تَكَفَّلْتَ بِهِ وَحَسْماً لِلِاشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ الْكِفَايَةَ لَهُ؛ فَقُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الْأَصْدَقُ وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمُكَ الْأَبَرُّ الْأَوْفَى وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ»[3].

توفير أسباب الهداية:

إن الله لم يكتفِ بتوفير أحوال حياة الإنسان فحسب، بل جعل له كل ما في السماوات والأرض مسخرا، لا ليبقى في الدنيا أيامًا معدودات يتمتع ببركاتها

(١) الحجرات ٤٩: ١٣.

(٢) الدعاء الـ٥٠.

(٣) الدعاء الـ٢٩.

في تلك الأيام فقط، بل خلقه ليكون عبداً مطيعاً له كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]؛ وقد أعطى هذا الخالق الحكيم الإنسان نعمة أخرى فضلاً عن خلقه له، إذ أن الخالق جلّ وعلا قد هيأ له الأسباب ووسائل الهداية، إذ هداه مصباحاً حتى لا يضل في ظلمات الدنيا، وبمعنى آخر، هيأ له شروط البقاء على الصراط المستقيم والسير على ذلك الطريق .

من أسباب هدايته

(أولاً) العقل

(ثانياً) الرسل والأنبياء

وقد خص الإمام زين العابدينعليه السلام دعاءه الثاني بالنبي محمدصلى الله عليه وآله مبينا بركاته وخيراته، موضحا ما بذل من جهد في سبيل هداية الناس، ونشر نور الإسلام؛ مشيرا إلى صفاته الحسنة، وخصاله الحميدة كالأمانة والنجابة و..؛ ونورد هنا بعض العبارات الجميلة من ذلك الدعاء: «**اَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ وَ نَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَ صَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ؛ إِمَامِ الرَّحْمَةِ وَ قَائِدِ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ؛ كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ؛ وَ عَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ وَ كَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَّتَهُ؛ وَ حَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ وَ قَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ؛ وَ أَقْصَى الْأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ؛ وَ قَرَّبَ الْأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ؛ وَ وَالَى فِيكَ الْأَبْعَدِينَ؛ وَ عَادَى فِيكَ الْأَقْرَبِينَ؛ و أَدْأَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ؛ وَ أَتْعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ؛ وَ شَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ؛ وَ هَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْغُرْبَةِ وَ مَحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ وَمَسْقَطِ**

(١) الذاريات ٥١: ٥٦.

رَأْسِهِ وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ؛ إِرَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ وَاسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ»[١].

وهو يؤكد على أن القرآن الكريم من أسباب الهداية ويقول في وصفه: «وَجَعَلْتَهُ نُوراً نَهْتَدِي مِنْ ظُلَمِ الضَّلَالَةِ وَ الْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ»[٢].

الأصول المحافظة على الكرامة الإنسانية:

من الأصول المحافظة على الكرامة الإنسانية في المجتمع الإسلامي:

التوجه إلى المحرومين:

إن مشكلة الفقر والفقير لا تقل خطورة عن بقية المشاكل التي تهدد كيان المجتمع، لذلك فقد تصدى الإسلام لها فأولاها اهتماما خاصا، ووضع لحل تلك المشكلة حلولا دقيقة وناجعة، ورسم لها الخطوط العريضة، ليخفف الضغط عن الطبقات الضعيفة بأن جعل حقا لهم في أموال الأغنياء، فمن منظور القرآن الكريم عُدَّ المال كله هبة من الله تعالى بدليل قوله عزّ وجل: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[٣].

وفي ذلك سئل الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية الله تعالى أن يوفقه على عدم ازدراء الفقراء في المجتمع وأن يتوجه إليهم ويلطف بهم فقال: «اللّهُمّ إِنيّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ .. سُوءِ الْوِلَايَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا»[٤]، وقال أيضا:

(١) الدعاء الـ٢.

(٢) الدعاء الـ٤٢.

(٣) سورة النور: الآية ٢٤: ٣٣.

(٤) الدعاء الـ٨.

«وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أَظُنّ بِذِي عَدَمٍ خَسَاسَةً، أَوْ أَظُنّ بِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ فَضْلًا، فَإِنّ الشّرِيفَ مَنْ شَرّفَتْهُ طَاعَتُكَ، وَالْعَزِيزَ مَنْ أَعَزّتْهُ عِبَادَتُكَ»[1].

وفي مكان آخر يطلب عليه السلام من الله سبحانه وتعالى أن يحبب إليه صحبة الفقراء فيقول: «اللّهُمّ حَبّبْ إِلَيّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَأَعِنّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصّبْرِ وَمَا زَوَيْتَ عَنّي مِنْ مَتَاعِ الدّنْيَا الْفَانِيَةِ فَاذْخَرْهُ لِي فِي خَزَائِنِكَ الْبَاقِيَةِ»[2].

في الحقيقة أن المسلم إذا أحس بأنه مسؤول عن الملكية والثروة والمال، وسائر النعم التي أنعم الله عليه بها، فإنه من دون شكٍ سيسعى في استعمال أفضل لهذه النعم وسيعرف من دون شك أنها كلها ضرب من الامتحان الإلهي لمدى تحمل الإنسان وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

حفظ الأمانة:

إن الأمانة تُعدُّ من الخصال التي اهتم بها الدين الإسلامي إذ إن الإنسان يحمل مسؤولية خطيرة، وهي صفة جليلة عند المسلم، وقد أمر الله تعالى عباده بتأدية الأمانات، فيقول عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[4]، وقد استعاذ الإمام عليه السلام بالله تعالى من الخيانة في أمانة فقال: «وَنَعُوذُ

(١) الدعاء الـ٣٥.

(٢) الدعاء الـ٣٠.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٦: ١٦٥.

(٤) النساء ٤: ٥٨.

بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشّ أَحَدٍ، وَأَنْ نُعْجِبَ بِأَعْمَالِنَا، وَنَمُدّ فِي آمَالِنَا»[١].

ترك الظلم:

يُعدُّ الظلم من الصفات السيئة في الدين الإسلامي فعلى الإنسان أن يتجنب أي شكل كان، أو أي نوع من أنواع الظلم، ولذلك نرى الإمام السجاد عليه السلام يسأل الله سبحانه أن يعصمه من أفعال الظالم فيقول في الصحيفة السجادية مانصه: «لَا تُسَوّغْ لَهُ ظُلْمِي، وَأَحْسِنْ عَلَيْهِ عَوْنِي، وَاعْصِمْنِي مِنْ مِثْلِ أَفْعَالِهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي مِثْلِ حَالِهِ»[٢] ويقول أيضا: «اللّهُمّ فَكَمَا كَرّهْتَ إِلَيّ أَنْ أُظْلَمَ فَقِنِي مِنْ أَنْ أَظْلِمَ»[٣] وفي مكان آخر من الصحيفة يقول: «اللّهُمّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَ آلِهِ، وَلَا أُظْلَمَنّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدّفْعِ عَنّي، وَلَا أَظْلِمَنّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنّي»[٤].

والإمام عليه السلام يعوذ بالله أن يكون للظالم عضداً فيساعد الظالم وفي ذلك يقول: «اللّهُمّ إِنيّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَعْضُدَ ظَالِماً، أَوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفاً»[٥]؛ أو ألا يقدر أن يجاهد في مساعدة المظلوم فيقول عليه السلام: «اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظُلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ»[٦].

---

(١) الدعاء الـ٨.

(٢) الدعاء الـ١٤.

(٣) الدعاء الـ١٤.

(٤) الدعاء الـ٢٠.

(٥) الدعاء الـ٨.

(٦) الدعاء الـ٣٨.

تجتب الحسد:

إن الحسد داء عيّ وعيب فاحش وعلى المسلم أن يجتنبه في علاقاته مع الآخرين لأن من ابتلي بهذا المرض يصعُب عليه من أن يتخلص منه، ولا يشفى غليله إلا بإضرار من يحسد عليه ولهذا عاذ الإمام السجادعليه السلام بالله تعالى من الحسد فقال: «**اللّهُمّ إِنيّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ**»[1].

فإذا محي الحسد في المجتمع سيعيش كل الناس في راحة وأمان وصدق وطمأنينة.

الشكر على محبة الآخرين:

ومن الأمور المهمة الأخرى التي عالجها الإمام السجاد عبر الدعاء الذي ورد في الصحيفة السجادية مسألة أن يديم الإنسان شكره لله تعالى ويحمده على ما أنعم عليه ويعد الشكر قناة موصلة للنعم الإلهية فعليه أيضا أن يشكر الناس بما يمنون عليه ويعد شكر الناس نوعا من شكر الله تعالى إذ قيل في الأثر: من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

وفي هذا الباب نرى الإمام السجادعليه السلام يعوذ بالله من ألا يشكر لمن عمل معروفا في حقه فيقول: «**اللّهُمّ إِنيّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ...تَرْكِ الشّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا**»[2]؛ وقال في المعنى نفسه: «**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ ... وَمِنْ مَعْرُوفٍ أُسْدِيَ إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ**»[3].

---

(١) الدعاء الـ٨.

(٢) الدعاء الـ٨.

(٣) الدعاء الـ٣٨.

الإحسان إلى الآخرين مقابل سيئاتهم:

إن جزاء الإحسان لا يكون إلا الإحسان، ولكن على الإنسان السليم النفس أن يجازي سيئة الآخرين في المجتمع بالإحسان وأن يعفو عن خطايا الناس وسيئاتهم، وقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى هذا الأمر فقال عز وجل: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[1]، واستمد الإمام السجاد من ذلك الفيض الإلهي فطلب من الله سبحانه وتعالى القدرة على الإحسان إلى الآخرين مقابل سيئاتهم فقال مانصه: «**سَدّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشّنِي بِالنّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السّيّئَةِ**»[2].

الدعاء للآخرين ونصحهم:

من الصفات الجليلة للإنسان المسلم أن يكون ناصحاً لغيره مشفقا عليه، ومن مظاهر تلك الشفقة والنصح أن يدعو له، ويرجو له الخير، وإذا استشار المسلم أخاه المسلمَ لا يكون بخيلا في إرشاده ونصحه، ولا شك أن تلك الصفة تجعل العلاقات بين الناس على أساس إكرام الشخصية والمحبة فيزداد الاطمئنان وتسود المحبة بينهم .

وقد دعا الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية الجميع الى هذا الأمر، لاتظهر دعوته عليه السلام الى ذلك ضمن الأدعية فقط، بل في أدعية خاصة كالدعاء

(١) المؤمنون ٢٣: ٩٦.

(٢) الدعاء الـ٢٠.

للأنبياء، ولأهل ولايته، وللوالدين، وللجيران ولأوليائه، لأهل الثغور و...

فقد ورد عنه عليه السلام في إحدى أدعيته للكثيرين مقابل الشيطان فقال: «**اجْعَلْ آبَاءَنَا وَأُمّهَاتِنَا وَأَوْلَادَنَا وَأَهَالِيَنَا وَذَوِي أَرْحَامِنَا وَ قَرَابَاتِنَا وَجِيرَانَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُ فِي حِرْزٍ حَارِزٍ، وَحِصْنٍ حَافِظٍ، وَكَهْفٍ مَانِعٍ، وَأَلْبِسْهُمْ مِنْهُ جُنَناً وَاقِيَةً، وَأَعْطِهِمْ عَلَيْهِ أَسْلِحَةً مَاضِيَةً**»[1].

مبادئ الكرامة الإنسانية:

من أهم مبادئ الكرامة الإنسانية من منظور الإمام زين العابدين عليه السلام الآتي:

التقوى:

وكلمة التقوى مشتقة من الفعل الثلاثي «وقى» وهو بمعنى الحفظ والصيانة، وفي اللغة بمعنى الحفظ وحفظ النفس[2]، والتقوى حالة في الإنسان توجد في نفسه قوّة وملكة تمنحه مناعة روحية وأخلاقيّة تجعله لا يذنب حتى لو كان في بيئة تمارس المعاصي والذنوب[3].

إن الإسلام كرّم الإنسان حين جعل شرف الإنسانية يتمثل أولاً وآخرا في صلتها بالله، واستمدادها منه، وتقيدها بشرائعه ووصاياه . والحرية الحقيقية ـ التي هي جوهر الكرامة الإنسانية ـ ليست في حق الإنسان أن يتدنس إذا شاء ويرتفع إذا شاء، بل الحرية أن يخضع لقيود الكمال، وأن يتصرف داخل

(١) الدعاء الـ١٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ٨٨١.

(٣) المطهري، ١٣٩٧.ش، ٢٠.

نطاقها وحده وقيود الكمال هذه تضعنا على الطريق إلى الله، طريق الكمال، والتصفية، والتحول عن مواطن الغفلة والركود، إلى مواطن الذكر والحرية، والسير في ميادين النفوس سيرا وجهته الله وعدّته صالح الأخلاق والأعمال، وشاراته التوبة والرغبة إلى الله والورع والعفة والقناعة والصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والحب[1].

وعندما يدعو الإمام عليه السلام الله سبحانه وتعالى فيطلب منه أن يجعله من المصلحين يطلب كذلك أن يكون معصوماً أي بعيدا من الزلل والخطأ بتقوى الله وورعه فيقول: «**وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ ... وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطَاءِ بِتَقْوَاكَ**»[2]؛ إذ إن من المبادئ المهمة للكرامة الإنسانية اجتناب المعاصي والذنوب، وعدم مخالفة رب العالمين ومعصيته، وهذا الشيء المهم لا يحدث إلا بالتقوى والورع، لقد جعل الإمام الخميني رحمه الله التقوى الإلهية مقياسا للكرامة الإنسانية المكتسبة، ويعتقد أنه كلما كان الإنسان أكثر تقوىً كلما كانت كرامته عند الله أعظم، ولا فرق في كون الإنسان كان رجلاً أو امرأة أو اختلاف اللهجة واللغة واللون فإن ذلك لا يؤدي إلى الكرامة، ولكن كرامة الإنسان تُحفظ في تقواه، وكان النبي الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أكرم الناس لأنهم كانوا أتقى الناس، ولما كانت لتقوى الله درجات موازية لذلك، فإن للكرامة أيضًا درجات، وأول درجات التقوى هو اجتناب

(١) انظر: الغزالي، ١٩٩٠م، ١٧٥ ـ ٢٨٠.

(٢) الدعاء الـ٢٥.

الذنوب التي تكون السبب في هلاك الإنسان ودخوله النار[1].

«أما تقوى الله تعالى، فهي ترفع في معناها العام إلى اتقاء الإنسان كل ما يضره في نفسه وفي جنسه، وما يحول بينه وبين المقاصد الشريفة والكمال الممكن في الدنيا والآخرة. والتقوى ليست خاصة بنوع من الطاعات، ولا بشيء من المظاهر، وإنّما هي كما قلنا، اتقاء الإنسان كل ما يضره في نفسه وفي جنسه، وما يحول بينه وبين الكمال الممكن. ومن ثمرات التقوى حصول الفرقان ـ ما يفرق به المرء بين الخير والشر والضار والنافع في هذه الحياة ـ، فالعلم الصحيح، والقوة، والعمل النافع، والخلق الكريم، وما إلى ذلك من آثار التقوى، والتقوى هي الشجرة والفرقان هو الثمرة»[2].

معرفة النفس ومحاسبتها:

إن معرفة الإنسان لنفسه ستساعده على أن يدرك مخاطر غروره ودوافع الشهوة وتعارضها مع سعادته، ويستعد للتعامل معها، وقد أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك فقال: «**إبْنُ آدَم لَاتَزَالُ بِخَيرٍ مَا كَانَ لَكَ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِكَ وَمَا كَانَتْ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّكَ وَمَا كَانَ الخَوْفُ لَكَ شِعَاراً والحُزْنُ لَكَ دِثَاراً**»[3].

ويُبنى أصل التغيير والاهتمام بالنفس على العودة إلى النفس والاهتمام بها، ومراقبتها ومحاسبتها، لأن كل التغييرات الخارجية هي حصيلة التغيرات التي تحصل في داخل الإنسان، وقد أشار الإمام السجاد عليه السلام إلى عوائق التغيير

(١) الخميني، ١٣٨٩.ش، ١: ٣٧٨.

(٢) شلتوت، د.ت، ٥٧١.

(٣) الحراني، ٢٠٠٢م، ١: ٢٨٠.

الداخلي في الإنسان، إذ قال: «أَللَّهُمَّ إِنَّهُ يَحْجُبُنِي عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلاَلُ ثَلاثٌ وَتَحْدُونِي عَلَيْهَا خَلَّةٌ وَاحِدَةٌ، يَحْجُبُنِي أَمْرٌ أَمَرْتَ بِهِ فَأَبْطَأْتُ عَنْهُ، وَنَهْيٌ نَهَيْتَنِي عَنْهُ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، وَنِعْمَةٌ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَقَصَّرْتُ فِي شُكْرِهَا. وَيَحْدُونِي عَلَى مَسْأَلَتِكَ تَفَضُّلُكَ عَلَى مَنْ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْكَ، وَوَفَدَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ إِلَيْكَ، إِذْ جَمِيعُ إِحْسَانِكَ تَفَضُّلٌ، وَ إِذْ كُلُّ نِعَمِكَ ابْتِدَاءٌ»[1].

العدالة:

للعدل علاقة وطيدة بالكرامة الإنسانية؛ فعندما يعدُّ الشخص نفسه أفضل من كل شيء في العالم، فلن يكون حاضرا أن ينغمس في حتى أدنى إهانة أو اضطهاد، فهي مثل تلك الروح التي لا تقبل العالم كله على حساب سلب قشة من نملة، ومن يعرف ثمن ذلك ويدرك أن تحقيق أحلام المرء من عبر الخسة والذل هو خسارة، ولا شيء يمكن أن يعوض عن الضرر الذي لحق بالروح، سيعرف مغزى قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وَ إِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ عَمَّا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً»[2].

لقد وصف الإمام العدل الإلهي بثلاث مراحل هي: الخلق والتشريع والعقاب[3].

فمن النوع الأول ما دعا به الإمام إلى الله تعالى طالباً الرزق فقال في

(١) الدعاء الـ١٢.

(٢) الواسطي، ١٤١٨هـ، ٨٥.

(٣) أميري، ١٤٠١.ش، ١١٠.

الصحيفة السجادية مانصه: «وَأَسْأَلُكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ إِلَى رِزْقِي سَبِيلاً فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ابْتِدَائِكَ بِالنِّعَمِ الْجِسَامِ وَ إِلْهَامِكَ الشُّكْرَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَ الْإِنْعَامِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَسَهِّلْ عَلَيَّ رِزْقِي وَأَنْ تُقَنِّعَنِي بِتَقْدِيرِكَ لِي وَأَنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِي فِيمَا قَسَمْتَ لِي وَأَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْمِي وَعُمُرِي فِي سَبِيلِ طَاعَتِكَ إِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»[١].

إن هذا كلام الإمام معصوم، وهو يدل على أن الله خلق العالم بنظم خاص، وهو يهب القوت لكل مخلوق بقدر ما يستحق، وهذا يندرج في معني العدالة.

أما النوع الثاني أو العدل التشريعي: «هو أنّه تعالى لا يهمل تكليفا فيه كمال الإنسان وسعادته، و به قوام حياته المادية والمعنوية والدنيوية والأخروية، كما انّه لا يكلف نفسا فوق طاقتها»[٢].

وقال عليه السلام في طلب العفو: «قِنِي مَا يُوجِبُ لَهُ حُكْمُكَ وَ خَلِّصْنِي مِمَّا يَحْكُمُ بِهِ عَدْلُكَ فَإِنَّ قُوَّتِي لاَ تَسْتَقِلُّ بِنَقِمَتِكَ وَ إِنَّ طَاقَتِي لاَ تَنْهَضُ بِسُخْطِكَ»[٣].

وقال عليه السلام في دعاء يوم عرفة: «أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ حَتْماً مَا أَرَدْتَ وَ قَضَيْتَ فَكَانَ عَدْلاً مَا قَضَيْتَ وَ حَكَمْتَ فَكَانَ نِصْفاً مَا حَكَمْتَ»[٤].

وهناك نوع ثالث من العدالة وهو عدل الجزاء أو العقاب في الصحيفة؛ هذا النوع من العدالة يعني أن الله تعالى لا يعامل المؤمنين والكافرين على

---

(١) الدعاء الـ٣٢.

(٢) سبحاني، ١٣٨٦.ش، ١٦٠.

(٣) الدعاء الـ٣٩.

(٤) الدعاء الـ٤٧.

حد سواء من حيث الثواب والعقاب، بل يُكافئ كل إنسان بحسب موهبته وجدارته وسلوكه ويعاقبه؛ كما أن الله لن يحاسبهم قبل أن يبلغ الناس واجبهم ويكمل ويتم الحجة عليهم[١].

قال الإمام عليه السلام في الصحيفة السجادية مانصه: «**كُلّ الْبَرِيةِ مُعْتَرِفَةٌ بِأَنَّكَ غَيرُ ظَالِمٍ لِمَنْ عَاقَبْتَ وَشَاهِدَةٌ بِأَنَّكَ مُتَفَضِّلٌ عَلى مَنْ عَافَيتَ**»[٢].

وقال كذلك: «**ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلاً مَوْقُوتاً وَ نَصَبَ لَهُ أَمَداً مَحْدُوداً؛ يَتَخَطَّأهُ إِلَيْهِ بِأَيَّامِ عُمُرِهِ وَ يَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ وَ اسْتَوْعَبَ حِسَابَ عُمُرِهِ؛ قَبَضَهُ إِلَى مَا نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ؛ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى عَدْلاً مِنْهُ**»[٣].

فجدير بالذكر أن العقاب الإلهي لا ينافي العدل الإلهي كما أكد الإمام عليه السلام في هذا الدعاء من الصحيفة السجادية: «**إِنْ تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي لِذَلِكَ أَهْلٌ وَ هُوَ ـ يَا رَبِّ ـ مِنْكَ عَدْلٌ وَ إِنْ تَعْفُ عَنِّي فَقَدِيماً شَمَلَنِي عَفْوُكَ وَ أَلْبَسْتَنِي عَافِيَتَكَ**»[٤].

ومن اللطيف الإشارة إلى أن للإمام السجاد عليه السلام رسالة بعنوان رسالة الحقوق، وقد ذكرت هذه الرسالة واحداً وخمسين حقاً مختلفاً، منها حقوق الله، وحق الأعضاء، وحق الوالدين، وحق الجيران وسائر أفراد المجتمع، وتُعَدُّ هذه الرسالة مثالا على اهتمام الإمام السجاد عليه السلام العميق بالعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان.

(١) رباني گلپايگاني، ١٣٩٥.ش، ١٦٢.

(٢) الدعاء الـ٣٨.

(٣) الدعاء الأول.

(٤) الدعاء الـ٥٠.

الحرية:

إن الإسلام دين الحياة، وهو بذلك يدعو الإنسان إلى أن يمارس هذه الحياة بالحضور والمساهمة والإنتاج، والى أن يكون ذلك الحضور متسماً بالعزة والكرامة والشرف، مما لا يمكن أن يتحقق إلا بالحرية التي هي في طليعة حقوق الإنسان، والتي تعد في الرؤية الإسلامية، قيمة كبرى، سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة[١].

وفي الحقيقة أن الحريات التي ضمنها الإسلام للإنسان من حرية الاعتقاد، وحرية الفكر، والتعبير، والعمل، والحرية السياسية، وضرورة حفظ العرض، والنفس، والمال مع التأكيد الشديد على أن ذلك كله أساسه عدم الاعتداء على حق الآخر، وفي الحقيقة أن من أهم مقتضيات الكرامة تعزيز قيمة الإنسان[٢].

إن أعظم تكريم للإنسان، في المنظور الإسلامي أن هداه الله إلى التوحيد. ومن التوحيد دعوة الإسلام إلى الكرامة وإلى الحرية. فالتوحيد هو تحرير الإنسان من الشرك، ومما يقذفه الشرك في قلب المرء من شعور بالهزيمة والسقوط: سقوط القيمة والهمة والاعتبار، وسقوط الشخصية المعنوية والكرامة الإنسانية. ولما كانت كرامة الإنسان في التوحيد، وكان التوحيد هو تحرير الإنسان من الشرك بكل معانية ودلالاته، لذلك فإن الكرامة الإنسانية تتجلى بشكل أسطع، وأقوى مما يكون التجلي عبر التمسك بالأمور الآتية[٣]:

(١) مقاومة عبادة الأصنام والأوثان

(١) الجراري، ١٩٩٨م، ٦٩.

(٢) زريق، ٢٠١٦م، ٣٢١.

(٣) شلتوت، د.ت، ٦٩ـ٧٠.

(٢) محاربة الخضوع للأهواء والنزوات

(٣) منع الانسياق لطغيان المال

(٤) الوقوف ضد استعباد الإنسان للإنسان .

ولا شك في أن الإسلام أعطى الإنسان كامل الحرية في الأبعاد المختلفة، ولكن في الإطار الصحيح الذي يبني على أصل عدم الإضرار بالآخرين، وعدم الإضرار بالنفس.

إن أول ما يتجه إليه الإسلام هو حماية الحريات العامة والخاصة، ذلك؛ لأن الحرية هي الإنسانية، في معناها، ومغزاها، فمن أهدر الحرية فقد أهدر الإنسانية، وإن من يستلب منه بعض حريته التي استحقها بمقتضى ناموس الوجود، والفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، فقد نقصه بعض إنسانيته، وسلبه بعض شخصيته، بيد أن تلك الحرية التي يحميها القرآن، ليست هي الحرية المطلقة، فالحرية المطلقة كالحقيقة المطلقة، أمور معنوية تتخيل ولا تحي، ولا تتحق في ذلك الوجود اللاغب المتناحر، وإن الذين ينطلقون في حرياتهم انطلاقاً يخلعون الربقة، ويهتكون الحمى، يضيعون من حرية غيرهم بمقدار ما ينطلقون، ولذلك لم يبح الإسلام الحرية المنطلقة من كل القيود، لأنها هدم، وليست ببناء[١].

إن الكرامة الإنسانية ترتبط في فكر الإمام السجاد عليه السلام بالحرية وبالمسؤولية، فهي ليست كرامة من دون دلالة عملية تنعكس في سلوك الفرد ومعاملته لأعضاء المجتمع البشري، قال العقاد في كتابه في هذا المجال: «إن مكان

(١) أبو زهرة، ١٩٦١م، ٥٣.

الإنسان في القرآن الكريم، هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة، وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة التي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات، هو الكائن المكلف، وهو أصوب في التعريف من قول القائلين (الكائن الناطق)، وأشرف في التقدير»[1].

ويرى الإمام السجادعليه السلام حرية الإنسان في أداء المسؤولية التي على عاتقه، وهذا المهم له ارتباط وثيق بالكرامة الإنسانية، لأن الإنسان هو مسؤول عن عمله في سلوكه الشخصي والاجتماعي، وهذه الكرامة لدى الإنسان تنشأ من إحساس وجوده الحرّ، ومن جراء ذلك يستمد ذاك الإنسان من إحساسه بالكرامة وشعوره بالارتياح والرضا لفعله الخيرات، والعمل بالفضائل الأخلاقية؛ من هذه الفضائل الأخلاقية التربوية التي تجلت في الصحيفة السجادية ما قاله الإمام في دعائه: «**اجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَهُمْ وَ أُعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ وَ أَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّتِهِمْ وَ أَتَوَلَّى بِالْبِرِّ عَامَّتَهُمْ وَ أَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّةً وَ أُلِينُ جَانِبِي لَهُمْ تَوَاضُعاً وَ أَرِقُّ عَلَى أَهْلِ الْبَلاَءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً وَ أُسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً وَ أُحِبُّ بَقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً وَ أُوجِبُ لَهُمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَّتِي وَ أَرْعَى لَهُمْ مَا أَرْعَى لِخَاصَّتِي**»[2].

إن دعاء الإمام وطلبه المساعدة من الله تعالى للتحلي بتلك الفضائل لو دل على شيء فإنه ليدلل على حرية الإنسان بأن بإمكانه أن يترك هذه الفضائل، ولا يتبع طريق الحق .

---

(١) العقاد، ١٩٧١م، ٤: ٢٣٢.

(٢) الدعاء الـ٢٦.

صحيح أن الإمام زين العابدين عليه السلام يعتقد بالحرية للإنسان، ولكنه يعلمنا الرضا بالقضاء والقدر، وكيف أن على الإنسان أن يتحلى بزينة المعرفة كي يرضى بما يختاره الله تعالى له من مصير وكيفيته ووقته، وما يرتبط به؛ وفي ذلك يقول عليه السلام: «**وَلاَ تَسُمْنَا عَجْزَ الْمَعْرِفَةِ عَمَّا تَخَيَّرْتَ فَنَغْمِطَ قَدْرَكَ؛ وَنَكْرَهَ مَوْضِعَ رِضَاكَ وَنَجْنَحَ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَأَقْرَبُ إِلَى ضِدِّ الْعَافِيَةِ؛ حَبِّبْ إِلَيْنَا مَا نَكْرَهُ مِنْ قَضَائِكَ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا مَا نَسْتَصْعِبُ مِنْ حُكْمِكَ؛ وَأَلْهِمْنَا الاِنْقِيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنَا مِنْ مَشِيَّتِكَ حَتَّى لاَ نُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ وَلاَ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلاَ نَكْرَهَ مَا أَحْبَبْتَ وَلاَ نَتَخَيَّرَ مَا كَرِهْتَ**»[1].

(١) الدعاء الـ٣٣.

الخاتمة والنتائج:

بعد التأمل في الصحيفة السجادية لكشف اللثام عن أهمية ومبادئ الكرامة الإنسانية بوصفها أهم قيمة، وأعلى فضيلة وهبها الله تعالى للإنسان، توصلنا عبر البحث والتقصي إلى نتائج عدة؛ منها:

(١) الكرامة الإنسانية بما تعني من عزة وتقدير واحترام للإنسان هي قاعدة أساسية تقوم عليها كل مبادئ الدين الإسلامي وأصوله.

(٢) العالم كله ومنه العالم الإسلامي في حاجة إلى تصحيح لرد الكرامة الإنسانية إلى الإنسان بغض النظر عن الجنس والقومية واللون، ووضعه في المكانة اللائقة به بوصفه إنسان كرمه الله حين قرر الكرامة لكل بنى آم؛ ومن طرق ذلك تطبيق التعاليم الصحيحة التي وردت في تراث آل البيت عليهم السلام.

(٣) النظام العام لرؤية الإمام السجاد عليه السلام يقرر الكرامة الإنسانية في داخل الدولة الإسلامية، ويقررها في كل العلاقات الإنسانية؛ ليكون التآخي العام، أو يكون تنازع البقاء تحت ظل الفضيلة الحاكمة.

(٤) أهم مظاهر الكرامة الذاتية، أو الفطرية للإنسان من منظور الإمام زين العابدين هي: خلق الإنسان، استواءه في الخلقة، نعم الله تعالى عليه، الإنسان خليفة الله، توفير أسباب الهداية .

(٥) كل فضيلة أخلاقية متأصّلة في الكرامة الإنسانية، هي نتاج التقوى والعبودية، والعبادة لله سبحانه وتعالى .

(٦) العدل الإلهي في مستوياته الثلاثة: الخلق، والتشريع، والعقاب يتلائم

مع الكرامة الإنسانية ولا ينافيها.

(٧) إن عملية استرجاع الكرامة للأمة الإسلامية تكمن في عودتها إلى دينها وذخائر تراثها الثمين تستلهم منه أسس التقدم في الحياة.

(٨) هناك علاقة وثيقة بين المسؤولية والحرية والكرامة وكل ذلك ينعكس في حياة الإنسان وسلوكه الشخصي وعلاقاته بالآخرين في المجتمع البشري.

المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

الإمام السجاد، علي بن الحسين عليهما السلام، الصحيفة السجادية.

(١) أميري، سيدمحمد، (١٤٠١.ش) . وجوه مختلف عدل در صحيفه سجاديه، مجلة «سيره و سخن اهل بيت عليهم السلام»، العدد ١٣، صص ١٠٧ـ١٢٨.

(٢) الجراري، عباس، (١٩٩٨م) . الإنسان في الإسلام؛ ماهيته وحقيقة وجوده، الرابط: مطبعة الأمينة.

(٣) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي، (٢٠٠٢م). تحف العقول عن آل الرسول، قدم له وعلق عليه: حسين الأعلمي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(٤) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ)، (١٩٦٨م). وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة.

(٥) الخميني، روح‌الله، (١٣٨٩.ش) . صحيفه امام، تهران: مؤسسه تنظيم و نشر آثار امام خمينى.

(٦) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (١٤١٢هـ). المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار القلم.

(٧) رباني گلپايگاني، علي، (١٣٩٥.ش) . عقايد استدلالي، قم: مركز مديريت حوزه علميه خواهران.

(٨) الزُّحَيْلِيّ، وَهْبَة بن مصطفى، (د.ت) . الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، دمشق: دار الفكر.

(٩) الزركلي، خير الدين، (٢٠٠٢م). الأعلام، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين.

(١٠) زريق، برهان، (٢٠١٦م). الكرامة الإنسانية، دمشق: د.ن.

(١١) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت١٣٩٤هـ)، (١٩٦١م). شريعة القرآن من دلائل إعجازه، القاهرة: دار العروبة.

(١٢) سبحاني، جعفر، (١٣٨٦.ش) . محاضرات في الإلهيات، تلخيص علي رباني گلپايگاني، قم: مؤسسه امام صادق علسه اليلام.

(١٣) شلتوت، محمود، (د.ت) . تفسير القرآن الكريم، القاهرة: دار القلم.

(١٤) الطباطبايي، محمد حسين، (١٤١٧هـ). الميزان في تفسير القرآن، الطبعة ٤، قم: انتشارات إسماعيليان.

(١٥) العساف، صالح حمد، (١٤٠٩هـ). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، الرياض: شركة العبيكان.

(١٦) العقاد، عباس محمود، (١٩٧١م). الإنسان في القرآن، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، بيروت: دار الكتاب العربي.

(١٧) الغزالي، محمد، (١٩٩٠م). الجانب العاطفي من الإسلام، الإسكندرية: دار العودة.

(١٨) ابن فارس، أحمد (ت٣٩٥هـ)، (د.ت). مقاييس اللغة، تحقيق: عبد

السلام هارون، د.م: دار الجيل.

(١٩) محفوظ،، حسين علي، (١٩٦٧م). الصحيفة السجادية، مجلة البلاغ،السنة ١، ع١٠، ع٦.

(٢٠) المطهري، مرتضى، (١٣٩٧.ش). ده كفتار، ط٤٩، قم: انتشارات صدرا.

(٢١) الواسطي، علي بن محمد الليثي، (١٤١٨هـ). عيون الحكم والمواعظ، قم:د.ن.